**المحاضرة الرابعة: نشأة مفهوم أخلاقيات المهنة في العصر الحديث والعصر الإسلامي:**

**أولا: توطئة:**

يدل مصطلح " أخلاقيات العمل " على مبدأ اجتماعي يركز على كون الفرد مسؤولاً عن العمل الذي يؤديه، وينطلق من إيمان راسخ بأن للعمل قيمة جوهرية يجب احترامها والإصرار على تنميتها.

وعادًة ما ترتبط أخلاقيات العمل بالأفراد الذين يعملون بجدٍ ويحسنون الصنع في عملهم ولا يتوقف أمر أخلاقيات العمل عند المدارس و الجامعات بل يأخذ الأمر بعدا اكبر في الحياة العملية سواء في القطاع العام أو القطاع الخاص.

وتلقى أخلاقيات العمل اهتماما كبيرا فنجد أكثر **الجامعات تدرس مادة في أخلاقيات العمل و الإدارة،** في حين نجد أن أخلاقيات العمل تجد جذورها بالفعل منذ الدراسة الابتدائية و ذلك بأن ينشأ الطالب على الغش في الامتحانات أو نقل الواجبات هي عملية لا يصح أن يقوم بها الشخص السوي و يتم التعامل مع هذا الأمر بصرامة، و بذلك يعتاد الطالب على احترام حقوق الآخرين في ابسط الأشياء مثل الانتظار في الطابور و الالتزام بقواعد المرور، فهذه الأشياء البسيطة تؤخذ بجدية شديدة جدا و بالتالي يترعرع الطالب وهو يحترم فضيلة الصدق و العدل و الأمانة وأداء الواجب وهذه هي محاور أخلاقيات العمل .

**ثانيا: تأصيل علم الأخلاق:**

 إبستيمولوجيا الأخلاق علم فلسفي يتناول المعايير السلوكية الواجبة على الإنسان عن طريق تحديد مفاهيم الخير والشر. وإن أخلاقيات المهنة هي فئة فرعية من منظومة الأخلاق بصفة عامة.

إنَّ أخلاقيات المهنة تتأطر ضمن مبحث القيم، وهذه الأخيرة تتأسس إلى حدود اليوم على 3 مرجعيات هي: المرجعية الدينية، المرجعية الفلسفية والمرجعية الحقوقية المرتبطة بفكرة المواطنة بما هي توازن خلاق دون تضخيم لثقافة الحق وتقزيم لثقافة الواجب.

 فلسفيا يمكن القول بأنَّ علم الأخلاق يتمثل في نبش **الأنا الأخلاقي** ( وهو الضَّمير الذي يعتبر الأنا الاخلاقى فى الانسان وهو مركز اصدار الاحكام الاخلاقية المعياريه على افعال وتصرفات الانسان سواء تحققت أو فى طريقها للتحقيق، فالضمير شىء مخفى داخل النفس وهو الاستعداد الفطرى السليم للتفرقة بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ واستحسان الحسن واستقباح القبيح وهو مايشير اليه ديننا الاسلامى الحنيف بالنفس اللوامه حيث يبدأ بالرجوع عن الخطأ والابتعاد عن السوء والانصياع الى الحق والصواب)عكس إلغاء (موت الإله) لنيتشه بمعنى التحرر من الإله والأخلاق.

فالأخلاق تعلن دائما عن إنسان جديد يتكلم بصيغة كائن يعلن عن نفسه الجديدة، وعلاقتها بالمستقبل.. وهذا ما يتناقض مع الفكر المسيحي الرجعي؛ فالأخلاق قوة نفتقدها في خضم الصراع الحياتي اليومي...

والقيم تعبر عن المعتقدات الأساسية للفرد، وهي التي تحدد له ما يجب أن يفعله أولا يفعله، وما هو صحيح أو خطأ أو حق و باطل أو اختصاراً هي التي توجه أخلاقنا وسلوكنا في التعامل مع الأشياء أو مع الآخرين من حولنا[[1]](#footnote-1)1.

وغير خاف أن أخلاقيات المهنة لا تنحصر انعكاساتها على المدرسة فقط، بل لها امتداد خارجها، مادام تلميذ اليوم هو مواطن الغد، ولن يكون منفتحا ومتسامحا في الفضاء العام، إلا إذا تعلم أبجدية ذلك في الفضاء المدرسي، ولن يحتج رافضا الغش في الانتخابات إلا إذا تربي على ذلك في رفض الغش في الامتحانات، ذلك هو الرهان، وإليه المسعى.

وقد تصدَّى مجموعة من العلماء والباحثين في شتى الحقول العلمية والمعرفية في علم النفس والاجتماع وعلم الأجناس البشرية والإدارة إلى قضية القيم ومحاولة فهمها لتفسير السلوك الإنساني وما يصدر عنه من ممارسات صحيحة أو خاطئة نتيجة للقيم أو الموروثات التي يحملها الفرد ويؤمن بها، ومن هنا جاءت أهمية دراسة تأثير القيم ودورها في تحريك العاملين في مجال الإدارة، وضبط سلوكهم وعلاقاتهم المتداخلة مع كافة الأطراف.

فالخلق كذلك: هو السجيةٌ أو الطبع أو حال النفس الراسخة تصدر عنها الأفعال الإنسان من ناحية أنها خير أو شر؛ وهو أحد العلوم المعيارية.

 **إنَّ أخلاقيات المهنة مادة لاتعتمد على معادلات أو قوانين تستلزم الحفظ والمقارنة والتطبيق، وإنما هي تقدم رؤية فكرية ونظرية واجتماعية للقيم الأخلاقية في إطار المهنة والعمل، ولذلك المهم الذي يبقى في المادة هو مانكتسبه من مهارات وفنون من خلال دراسة المقياس، كمهارة التلخيص والاختصار، ومهارة التعامل والجدية في أداء العمل واستيعاب الصور والأمثلة والتعامل معها وفق الرؤية الأساسية لمواثيق أخلاقيات المهنة.**

\*فريق يرى تبعيتها لعلم الاجتماع؛ فريق يرى أنه علم مستقل.

\*مجموعة العلوم الانسانية متكاملة لأنها تتمحور حول نفس المركز ) الإنسان) لكن ضرورات الدراسة والمنهج أدت إلى التخصص.

و المهنة: غايتها خدمة الانسان.

يمكن اعتبار عقد السبعينات من القرن الماضي فترة الاهتمام بأخلاقيات العمل (المهنة) وقد تزايد اهتمام الدارسين الأكاديميين واهتمام الحكومات في الدول الغربية في هذه المسألة اهتماماً كبيراً، ومن الناحية التاريخية فإن الاهتمام الشعبي بسلوك الموظفين الحكوميين وقضاياهم كان موجوداً دائماً في مختلف الدول الغربية ولا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية حتى إن بعض الحكومات عكفت على وضع التشريعات الجديدة التي تضبط أخلاقيات العمل الحكومي[[2]](#footnote-2)2.

 إنَّ الممارس لمهنة معينة يواجه أنواعاً خاصة من المشكلات ذات الطبيعة الأخلاقية، يتعين عليه أن يتعلم كيف يواجهها بشكل منهجي، ولا يعينه بالضرورة تدريبه ومعرفته بالمنظومة الأخلاقية للأشخاص العاديين على مواجهة مثل هذه المشكلات واتخاذ القرارات المناسبة لها. ومن أمثلة الأعمال والمواقف التي قد يواجهها المهندسون مثلاً، والتي يمكن وضعها في إطار الأعمال غير الأخلاقية، والتي لا تتوافق مع الآداب العامة المقبولة للممارسة المهنية:

* الحصول على أعمال بطرق غير أخلاقية مثل الرشوة والمحسوبية والافتئات على حقوق زملاء آخرين في القيام بهذه الأعمال؛
* الحصول على أعمال بأتعاب متدنية للغاية تحت ضغط التنافس، مما يترتب عليه تقديم خدمة ذات مستوى متواضع على أقل تقدير؛
* تضارب المصالح بين العملاء (العمل كاستشاري للمالك والمقاول في نفس الوقت مثلاً)؛
* التغاضي عن الآثار الجانبية المدمرة للبيئة أو الضارة بالمجتمع عند تصميم وتنفيذ المشروعات الهندسية.

وقد أظهرت بعض استطلاعات الرأي بين المهنيين في دول الغرب أن أهم الأمور الأخلاقية التي تسبب مشكلات أمامهم عند ممارسة المهنة طبقاً لمعدلات تكراراها، هي تضارب المصالح، وتقديم الهدايا للحصول على منافع، والتحرش الجنسي بالمرؤوسين.

**مخطوطة بيزنطية من القرن الثاني عشر لقسم أبقراط[[3]](#footnote-3)1.**



وترجع بداية الاهتمام بالأخلاقيات إلى الثلث الأخير من القرن العشرين حين بدأ يظهر بقوة على السطح ما يسمى بأخلاق القيم عند أصحاب فلسفة القيم من أمثال ماكس شيلر (1874 – 1951م) ورينيه لوسن (1880 – 1954م) ولوى لافل (1887 – 1951م)، ويرى هؤلاء أن القيمة وهي موضوع الميول والرغبات والتقديرات تؤلف ميداناً مستقلاً تماماً عن ميدان الوجود وتؤسس أحكاماً خاصة تتعلق بالتقدير مردها إلى الانفعال ولا ترجع إلى العقل، وهي في جوهرها خلق ومثل أعلى[[4]](#footnote-4)1.

تشمل الأخلاقيات المهنية معايير السلوك الشخصية والشركة التي يتوقعها المحترفون. تم تطبيق كلمة الاحتراف على النظام الديني؛ اللاهوت والقانون والطب. تم استخدام مصطلح الاحتراف أيضا للمهنة العسكرية في نفس الوقت. وتتمثل قيم المنظمة في الفكر الغربي فيما يسمى بالثقافة التنظيمية، وهو مفهوم لم يجد طريقه في الدراسات التنظيمية بصورة واضحة ومميزة إلا في نهاية السبعينات من القرن الماضي، وعلى رأس الباحثين الذين تناولوا هذا المفهوم "جامست " الذي تتبع موضوع الثقافة التنظيمية والتي هي تعبير عن قيم الأفراد ذوي النفوذ داخل المنظمات والتي تؤثر بدورها في الجوانب الملموسة من المنظمة وفي سلوك الأفراد، كما تحدد الأسلوب الذي ينتهجه هؤلاء الأفراد في قراراتهم وإدارتهم لمرءوسيهم ومنظماتهم[[5]](#footnote-5)2.

المهنيين والعاملين في المهن يمارسون معرفة ومهارة خاصة. كيف يمكن استخدام هذه المعرفة عند تقديم خدمة للجمهور يمكن اعتبارها قضية أخلاقية وتسمَّى بأخلاقيات المهنة. وهي قادرة على إصدار الأحكام وتطبيق مهاراتها والوصول إلى قرارات مستنيرة في الحالات التي لا يستطيع الجمهور العام فيها الاستغناء عن المعرفة والمهارات اللازمة[[6]](#footnote-6)3. أحد أقدم الأمثلة على الأخلاقيات المهنية هو قسم أبقراط الذي لا يزال الأطباء يلتزمون به حتى يومنا هذا.ويربط ماكس شيلر (1874 – 1928م) بين الأخلاق والقيم، ويرى أن القيمة الأخلاقية مرتبطة بسلم القيم فالفعل يكون خيراً إذا حقق قيمة إيجابية، وإذا حقق قيمة عليا ويكون شريراً إذا حقق قيمة سلبية أو قيمة دنيا والقيمة توجد في ذاتها حتى لو لم تتحقق في العالم المحسوس[[7]](#footnote-7)4.

وهذه القيم قد تكون فردية أو مهنية، وقد تكون عامة كقيم المنظمة والمجتمع ، وكلها تكون ذات علاقة تبادلية بحيث يؤثر كل منها على الآخر كما أوضحها دارن شميدت وباري بونز في دراستهما على النحو التالي[[8]](#footnote-8)5:

**شكل رقم (1) : العلاقة التبادلية بين القيم**

**ثالثا: أخلاق المهنة في الإسلام :**

اهتم الإسلام بالجانب الأخلاقي، وحدد قيماً وقواعد أخلاقية لكل جانب من جوانب الحياة، وقد اهتم المسلمون بتلك التعاليم الأخلاقية الإسلامية، وعملوا على تطبيقها في كافة جوانب حياتهم، فكانت من أهم عوامل ازدهار حضارتهم، كما واكب ذلك الاهتمام اهتمام مماثل من جانب المفكرين عامة والتربويين خاصة، فصنفوا العديد من الرسائل والدراسات التي عنيت بأخلاق المعلمين والمتعلمين وآدابهم على السواء، تلك الأخلاق التي تستمد من الإسلام ونظرته الشاملة للإنسان والكون والحياة[[9]](#footnote-9)1.

الإسلام هو دين الأخلاق الفاضلة والسمو بالإنسان من نفق الرذائل المظلم إلى نور الإيمان والفضائل، ولقد عمل الإسلام على ضبط الغرائز وتركيزها وترويضها وتنظيمها في قواعده وأصوله الكلية كأساس لتهذيب سلوك النفس البشرية في عبادتها لله عز وجل وفي تعاملها مع الناس أفراداً وجماعات ويتجلى ذلك في قول الله تعالى ( ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)[[10]](#footnote-10)2.

والأخلاق في الإسلام ليست تعبيراً خيالياً أو قيماً طوباوية؛ بل هي منهج واقعي يستمد قيمه من صميم واقع الإنسان بحسبانه أحد أفراد المجتمع، وهي تظهر في مستويين متكاملين فردي واجتماعي، وهي تؤكد حرية الإنسان وإرادته في الاختيار وتحمل مسؤولية أفعاله، فالفرد مسئول عن عمله واع لشخصيته محقق للنفع العام لمجتمعه بأسره، باعتباره اللبنة الأساسية.

لقد أخبرنا الرسول أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق كما ذكرنا ذلك سابقا في أهمية الأخلاق في الإسلام، وفي هذا معنى تعميمها على الفرد وعلى المجتمع مهما كانت صفته: حاكماً، محكوماً، مديراً وموظفاً، وهي تعبر في مجملها عن منهج متجانس يقوم على التوازن والتكامل بين الفرد والجماعة فيكون الإنسان فردياً في الفكر واجتماعياً في السلوك والعمل.

ولقد أقر القرآن الكريم مفهوم الأخلاق في جانبين متكاملين، المعرفة والسلوك، فالمعرفة هي الناحية النظرية، وقد أورد القرآن منها 763 آية، والسلوك هو الناحية العملية، وقد أورد فيها 741 آية، وبذلك تكون جملة الآيات التي رسمت منهج الأخلاق في القرآن 1504 آية، وبالتالي فهي تمثل ما يقارب ربع آيات القرآن[[11]](#footnote-11)1.

وقد رسم الإسلام للأخلاق منهجاً واسعاً مرناً ميسر التطبيق في مختلف العصور والبيئات وجعل إطار القيم الأخلاقية واسعاً رحباً يحقق الحرية الشخصية ويتقبل الجهود الفردية، ومع ذلك فقد أقام كثيراً من الضوابط التي تقف حاجزاً منيعاً ضد **الظلم والشر** والفوضى وجعل الإسلام من شعائر العبادات قوة دافعة ذاتية لتنمية الخلق الفاضل وحراسته من نوازع وضعف النفس البشرية.

ويعد الخليفة الرابع: على بن أبي طالب  أول من صاغ المفهوم القرآني عن الأخلاق في معادلة حسابية شاملة، وأهم مفاهيم الأخلاق عنده التوافق التام بين عقيدة المرء وقوله وفعله، وعنده أن العقيدة هي الأساس الذي يستند إليه المرء في قوله وعمله، فإذا سلمت من الناحية الأخلاقية سلمت الأقوال والأفعال، ويرى ضرورة الانسجام بين العقيدة والسلوك، ومن حكمه الأخلاقية قوله: ما أصعب اكتساب الفضائل، وما أيسر إتلافها، وما أصعب على من استعبدته الشهوات أن يكون فاضلاً، ويقول أحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامة الناس[[12]](#footnote-12)2.

فالإيمان إعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان...

**رابعا: العوامل المساعدة على نشأة وظهور علم أخلاقيات المهنة:**

التطور في المستوى الاقتصادي والثقافي رافقه أيضا العديد من الإشكالات على المستوى الأخلاقي والاجتماعي، وكثرة الشركات الصناعية ظهرت وجود تراجع في سلوكها الأخلاقي وهناك العديد من العوامل، والأحداث التي جعلت المنحى الأخلاقي محط أنظار المهتمين والباحثين في مجال إدارة الأعمال، ومن أهمها:

1. عدم الوفاء بالالتزامات تجاه المستهلكين وتجاه البيئة الطبيعية؛
2. هناك استنزاف للموارد وتلوث كبير في المياه والتربة والهواء نتيجة الاستهلاك الكثيف للموارد الطبيعية والوقود المستخدم في تشغيل وسائل الحياة الحديثة. وكلها أصبحت موضوعا حيويا مهما تواجهه منظمات الأعمال في الدول المتقدمة والنامية؛
3. ظهور صور عديدة من الفضائح الأخلاقية والفساد والانحرافات في شركات و منظمات كبرى في أوروبا وأمريكا؛
4. شعور المنظمات والشركات بأنها لن تستطيع استثمار طاقات أفراد المنشأة وكسب ولائهم إلا من خلال قيم أخلاقية محددة، تنعكس إيجابا على ثقة العميل في منتجاتها؛
5. ظهور حالات معقدة صعب التعامل معها والحكم فيها من الناحية القانونية، ولكنها تعتبر مشكلة من الناحية الأخلاقية؛
6. وجود بعض الممارسات التجارية الصحيحة، ولكن لها أضرار على الصالح العام؛
7. ظهور دعوات جادة في المجتمعات الصناعية للاهتمام بالقيم الأخلاقيةٌ الاجتماعيةٌ، والالتزام بها على الصعيد العملي والمهني[[13]](#footnote-13)1.

كل مهنة تحتاج إلى أخلاق، فمثلاً نجد قسم المهنة في الطب، التمريض، المحاماة،... وغير ذلك. بدأ الاهتمام في مجال **الأخلاق في الإدارة** مع بداية القرن التاسع عشر نتيجة الممارسات الإدارية السيئة من قبل الإدارة تجاه العاملين، وكذلك ممارسة بعض العاملين وانتهاكات حقوق المهنة والاستخدام الخاطئ لموارد المؤسسة.

**خامسا: أسباب الاهتمام بعلم أخلاقيات المهنة:**

1. الإحساس المتزايد بأن الشركات أقل أخلاقية مما كانت عليه في السابق؛
2. هناك مراجعة جدية للمفاهيم السائدة التي ترى أن منظمات الأعمال تهدف من أجل بقائها واستمرارها إلى تعظيم الربح دون اهتمام بالاعتبارات الاخلاقية؛
3. إن جرائم الفساد الإداري تمثل حالات واسعة وآخذة في التزايد؛
4. وجود الدوافع والنوازع البشرية والاجتماعية المؤدية للانتهاك الأخلاقي وعجز القوانين عن معالجة وحسم ذلك .
1. 1 إبراهيم فهد الغفيلي، مرجع سابق، ص 04. [↑](#footnote-ref-1)
2. 2 كينيث كيرنغان، داو يفيدي، **أخلاقيات الخدمة العامة**. (تر: محمد قاسـم القريوتي)، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، 1984، ص 15. [↑](#footnote-ref-2)
3. 1 متحصل عليه من: <https://ar.wikipedia.orgبتاريخ>: 09/02/2019. [↑](#footnote-ref-3)
4. 1 إبراهيم فهد الغفيلي، نقلا عن: عبد الرحمن بدوي، **الأخلاق النظرية**. الكويت: وكالة المطبوعات، 1975، ص 30. [↑](#footnote-ref-4)
5. 2 إبراهيم فهد الغفيلي، نقلا عن: عبدالرحمن هيجان، «أهمية قيم المديرين في تشكيل ثقافة منظمتين سعوديتين». مجلة معهد الإدارة، العدد 74، أبريل 1992، ص 12. [↑](#footnote-ref-5)
6. 3 Caroline Whitbeck, **Ethics in Engineering Practice and Research**. England: Cambridge University Press, 1998, p 40. [↑](#footnote-ref-6)
7. 4 إبراهيم فهد الغفيلي، نقلا عن: عبدالرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 31. [↑](#footnote-ref-7)
8. 5 Schmidt, warren H. and Posner, Barry Z. **Managerial values and expectations**. A.M.A: NY, 1982, P 15. [↑](#footnote-ref-8)
9. 1 أفراح أحمد محمد الفقيه، «مدى تمثل معلمي المرحلة الأساسية لأخلاق مهنة التعليم من المنظور التربوي الاسلامي»، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية التربية، جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية، 2008). [↑](#footnote-ref-9)
10. 2 سورة الشمس، الآيات 07-10. [↑](#footnote-ref-10)
11. 1 أنور الجندي، **القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية**. القاهرة: مطبعة الرسالة، [د.س.ن]، ص 409. [↑](#footnote-ref-11)
12. 2 إبراهيم فهد الغفيلي، نقلا عن: أنور الجندي، مرجع سابق، ص 411. [↑](#footnote-ref-12)
13. 1 خالد الجريسي، **أخلاقيات الإدارة**. مرجع سابق، ص ص 5-6. [↑](#footnote-ref-13)